الساتوري[39] الأطرش

كان يعيش بالقرب من جبل الأولمب "ساتوري" أطرش، وكان ملك الأحراش الشيخ، فقالت الآلهة: "تمتع فالغابات لك، وكن فرساً سعيداً، طارد الحوريات وانفخ في نايك"، وعاش الساتوري سعيداً.

في يوم من الأيام بينما كان أب الآلهة "أبولو"[40] يعزف بقيثارته، خرج الساتوري خارج حدود مملكته، واندفع صاعداً إلى الجبل المقدس وفاجأ الإله في عزفه، فقرر الإله عقابه بأن يحوله أطرشاً لا يسمع، أصم كصخرة، وما كان له أن يسمع ما يحدث في الغابة رغم العصافير التي كانت تسكب الألحان الغارقة في

---

[39]– الكلمة بالأسبانية تعني في الميثولوجيا الإغريقية كائنا له جذع رجل ورأس بقرنين وأقدام ماعز، له القدرة على مغازلة النساء وممارسة الجنس معهن، وله قدرة على إشباعهن جنسيا، وكان هذا الكائن يعيش ويمارس أفعله تلك بالغابة.

[40]– أبولو: اله الجمال والنور والفنون في الميثيولوجيا اليونانية القديمة، يقال أن كان يقود عربة تجرها أربعة جياد

جداولها، فالساتوري لم يكن يسمع شيئا، وغنت الإلهة "فيولميلا"[41] على رأسه المحاطة بالعصافير كالتاج أغنيات كانت تُوقف الأنهار عن جريانها، وتُخجل الزهور الشاحبة على أغصانها، وكان هو لا يحرك ساكناً، أو يطلق قهقهاته الوحشية، أو ينطلق مندفعاً بشهوانية كلما لمح خلفية بيضاء أو استدارة تنعكس عليها أشعة الشمس الشقراء. وكانت الحيوانات جميعاً تحيط به كسيد يجب أن يُطاع.

وحتى تسليه، كانت كاهنات الإله "باخوس"[42] ترقصن من حوله في حالة هذيانه المحمومة، وتتبعن النغمة، وبالقرب منه، الآلهة الصغيرة والمراهقة تغازله بابتساماتها، ورغم إنه لم يكن يسمع أي صوت إلا إنه كان يستمتع بطرق أخرى، وهكذا أمضى هذا الملك الملتحي حياته بساقيه الماعزيتين.
لقد كان كائناً غريباً.

كان له مستشارين: قبرة وحمار، فقدت القبرة احترامها

---

[41]- أميرة شهيرة ابنة "باندیون" ملك أثينا، وشقيقة "بروكني" زوجة تريو"، بطل تراثيا، اغتصبها زوج شقيقتها وحتى لا تشي به قطع لسانها، فقامت بتوشية حكايتها على سجادة وأرسلتها هدية إلى شقيقتها، التي انتقمت من زوجها بقتل ابنها "ايتيس" وقدمته طعاما لزوجها، وعندما علم بما حدث قام بتتبع الشقيقتين للانتقام منهما، لكن الآلهة تدخلت وحولت "بروكني" إلى قبرة، فيما شكلت "فيولميلا" إلى عصفور مغني

[42]- اله الخمر عند الإغريق

بفقدان الوحش سمعه، قبل ذلك، نعم كان كلما تعب من إشباع رغباته الغريبة كان يعزف على قيثارته ألحاناً رقيقة، فكانت تتبعه القبرة.

بعد ذلك، في غابته الكبيرة، حيث لم يكن يسمع ولا أي صوت رعدي اولمبي، فإن الحيوان الصبور بأذنيه الطويلتين كان أداته للسباق، فيما كانت القبرة تنطلق من بين يديه طرباً باتجاه السماء.

كانت الغابة ضخمة، تحّوم القبرة على قمتها، ويرعى الحمار في أعشابها، تتلقى القبرة تحية أشعة الفجر الأولى، وتشرب الندى من البراعم، توقظ شجرة البلوط بأن تقول لها: "أيتها البلوطة العجوز، استيقظي"، تتلذذ بقبلة الشمس، كانت أشعة الصباح تعشقها، والأزرق العمق، الذي كان كبيراً، يعرف إنها صغيرة جداً، وأنها توجد تحت رحمة اتساعه، والحمار (رغم أنه لم يكن قد تحاور وقتها مع "كانت"[43]) إلا إنه كان خبيراً في الفلسفة، كما يقول العامة، وكان الساتوري يراه يتخذ وضعاً متعجرفاً، يحرك أذنيه بهالة المهابة، وإنه كان عالماً بذلك المفكر، ولم يكن الحمار وقتها يتمتع بالشهرة التي نعرفها عنه الآن، وتحريك فكيه لم يكن

---

[43]- ايمانويل كانت (1724- 1804) فيلسوف ومؤرخ هولندي له العديد من المؤلفات الفلسفية من أهمها "نقد الأيمان النقي"

متخيلاً أنه سيكتب يوماً ما في كتاب مديح "دانييل هاينسيوس"[44] باللاتينية، و"باسيرات"[45] و"بوفون"[46] و"هوجو"[47] بالفرنسية، وعند "بوسادا"[48] و"فالديراما"[49] بالأسبانية.

وهو، الصبور، تلدغه الذبابات، التي يهشها بذيله، ويضرب بحافره من وقت لآخر، ويطلق تحت قبة الغابة نهيقه الشاذ، وكان يلقى التشجيع هناك، وعندما ينام قيلولته على الأرض السوداء والرقيقة، تمنحه الحشائش والزهور رائحتها. وتميل الأشجار العالية بأفرعها لتمنحه الظل.

في تلك الأيام، كان "اورفيو"[50] الشاعر، منزعجا من بؤس البشر، فكر في الهرب إلى الغابة، حيث يمكن أن تفهمه جذوع الأشجار والصخور وتستمع إليه بإعجاب، وحيث يمكنه أن يطبق تناغمه ووهج حبه ويمنح صوت آلته الموسيقية الحياة.

---

[44]- دانييل هانيسيوس (1580 – 1655) مؤرخ هولندي كتب العديد من الأعمال المهمة عن الفلسفة اليونانية القديمة من أهمها "السياسة" و"أفلاطون"، و"سينيكا"

[45]- باسيرات: (1534 – 1602) خطيب مفوه، وشاعر فرنسي كتب بالفرنسية واللاتينية

[46]- هو جورج لويس ليكليرك (1707 –1788) كونت دي بوفون، كاتب وعالم طبيعيات فرنسي، كتب "تاريخ الطبيعة" في أربعين مجلدا

[47]- الكاتب الرفنسي فيكتور هوجو

[48]- خوسي جوادالوبي بوسادا (1852– 1912) فنان مكسيكي

[49]- ادولفو بالديراراما (1834– 1902) كاتب وطبيب تشيلي من مؤلفاته "الشعر التشيلي" وكان صديقا لروبين داريو

[50]- شخصية من الميثيولوجيا الإغريقية: شاعر ومغن شهير

عندما كان يعزف "اورفيو" قيثارته كانت تنتشر الابتسامة على الوجه الابولي، وكان "ديمتر"[51] يشعر باللذة، وتطلق النخيل لقاحاتها، وتبزغ البذور، وتحرك الأسود أعرافها، وفي مرة طارت قرنفلة عن فرعها وبدت كفراشة حمراء، وهبطت نجمة معجبة وتحولت إلى زهرة زنبق.

وأي غابة أفضل من غابة الساتوري، والذي سوف يعثر عليه فيها، ويمكن أن يعيش فيها كشبه إله، غابة كلها سعادة ورقص، وجمال، وشهوانية، حيث الحوريات وكاهنات المعابد في متناول اليد، وعذراوات دائماً، حيث توجد الأعناب والزهور وصليل الجلاجل، وحيث يرقص الملك ذو الأقدام الماعزية أمام معاونيه، سكيراً ومُصدراً أصواتاً مثل "سيلينو"[52]؟
ذهب بتاجه المصنوع من الغار، وقيثارته، وجبهته كشاعر معتد بنفسه، ومشعاً بهالة من الفن.

وصل إلى حيث يوجد الساتوري ذي الشعر الكثيف، وحتى يطلب منه استضافته غنى. غنى أشعار "جوبي"[53] و"كيوبيد"[54] و"افروديت"[55]، وغنى عن كاهنات المعابد الجميلات، وغنى كأس

51- إلهة الزراعة
52- ساتوري عجوز قام بتربية "باكو" اله الخمر عند الرومان
53- احد الأسماء المتعددة للإله الروماني "جوبتر" وأيضا يسمى "زيوس" عند الإغريق.
54- إله الحب عند الإغريق.
55- إلهة الحب والجمال عند الإغريق.

"ديونيس"[56]، والسهم الذي يجرح الهواء الطليق، و"بان"[57] إمبراطور الجبال، ومالك الغابات، والإله-الوحش الذي كان يعرف أيضا كيف يغني، غنى عما يخبئه الهواء، والأرض، الأم الكبرى، وهكذا أوضح نغمة الهارب[58]، وهَمْس الأعشاب، والضجيج المكتوم للقوقعة، والنغمة الموسيقية التي تنبع من القطرات. غنى الأشعار، التي تهبط من السماء وتسعد الآلهة، والتي ترافق حركة الفك. غنى نهود الجليد الدافئ وكؤوس الذهب المزينة، وحوصلة الطائر ومجد الشمس.

ومنذ بداية وصلة الغناء كان الضوء يلمع بسطوع أكثر قوة، وتململت الجذوع الضخمة، وتطايرت بتلات بعض الورود، وتمايلت الزنابق كما لو كانت قد أصيبت بإغماءة حلوة، لأن "اورفيو" كان يجعل الأسود تموء، ويُبكي الحصى بإيقاعات موسيقى قيثارته، وكاهنات المعابد الأكثر غضباً صمتن، وكن يسمعنه كما لو كان حلماً، وجنية ماء عذراء، لم تتمكن من تخويفها ولا نظرة واحدة من الساتوري، اقتربت من المغني بحياء وقالت له: "أنا أحبك"، كان "فيلوميلا" قد طار ليحط على زنبقة

---

[56]- إله الخمر عند الإغريق، وملهم السكر والجنون

[57]- شبيه إله عند الإغريق وحارس الرعاة، وأيضا إله الخصوبة والجنس، وتقول الأساطير أنه كان يدخل الغابة ويطارد الحريات ليمارس معهن الجنس، وأثناء جولاته كان يحمل نايا يعزف عليه لسحر الحوريات.

[58]- الهارب: آلة وترية تشبه قوسا كبيرا تمتد الأوتار من قاعدته إلى أعلاه، وهي آلة ذات جذور فرعونية، وتوجد كثيرا مرسومة على جدران المعابد

كحمامة مهجورة، لم يكن هناك من صدى سوى صوت "اورفيو"، وأحست الطبيعة بالغناء، و"فينوس"، التي كانت تمر بالقرب من المكان، سألت من بعيد عن هذا الصوت الإلهي: "هل جاء إلى هنا "ابولو"؟

وفي كل هذا التناغم الكبير، الوحيد الذي لم يكن يسمع أي شيء هو الساتوري الأطرش.

وعندما انتهى الشاعر سأله:

-هل أعجبك غنائي؟ لو كان الأمر كذلك فإنني سأبقى معك في هذه الغابة.

وجه الساتوري نظرة إلى مستشاريه، وكان عليهما حل ما لم يتمكن من فهمه هو. كانت نظرته تطلب رأياً.

قالت القبرة محاولة النطق بأعلى ما تملك من صوت:

-سيدي، ابق على من غنى لنا بهذه الطريقة، إن قيثارته جميلة وقوية، قدمت لك المجد والضوء الغريب الذي شوهد اليوم في الغابة، لقد منحك تناغمه، سيدي، أنا خبيرة بمثل هذه الأشياء، عندما يأتي الفجر عارياً ويصحو العالم، أنا استرجع زمن السماوات العميق والفضاءات الواسعة، أنا أقول لك إن "اورفيو" غنى بشكل جيد، وإنه ربيب الآلهة، وموسيقاه أسكرت الغابة كلها، والنسور اقتربت وسكنت على رؤوسنا، وقدمت الحشائش المزهرة أسرارها بهدوء، وترك النحل خليته وجاء ليستمع. وبالنسبة لي، آوه، يا سيدي!، لو إنني كنت مكانك لأعطيته هدايا من ممتلكاتي،

هناك قوتان على الأرض: الواقعية والمثالية، ما يمكن أن يفعله هرقل بفكيه، يفعله اورفيو باستلهامه. الإله الساكن يمكنه أن يبعد "آتوس"[59] من مكانه بضربة واحدة من قبضته، ويمكن لاورفيو أن يهدئ من غضبه بصوته المنتصر، وتسيطر "نيميا"[60] على أسدها، و"اريمانتو"[61] على خنزيره، أما البشر، بعضهم ولد ليصنع المعادن، وآخرون ليحصدوا من الأرض الخصبة سنابلها المليئة بالحبوب، وآخرون ليحاربوا القتلة الأكثر دموية، وآخرون ليحلموا ويمجدوا ويغنوا، لو إنني كنت ساقيك وأقدم لك الخمر، فإن فمك سيتلذذ، لو قدمت لك الغناء ستتلذذ روحك.

بينما كانت القبرة تغني، كان اورفيو يرافقها بقيثارته، فكان يخرج منها صوت غنائي ممتد يغطي الغابة الخضراء الساطعة، بدأ الساتوري الأطرش يفقد صبره، تُرى من يكون هذا الزائر؟ تُرى لماذا توقف الرقص المجنون أمامه؟ وترى ماذا يقول مستشاره عن هذا؟

آه، لقد غنت القبرة، لكن الوحش لم يكن يسمع! وأخيراً، توجه ببصره نحو الحمار.

---

[59]- طبقا للأساطير الإغريقية، عبارة عن عملاق ضخم قام خلال معركة بين العمالقة والآلهة بإلقاء صخرة على إله البحار والمحيطات فنشأت عن سقوطه الجزيرة التي تعرف باسمه الآن.

[60]- مدينة إغريقية قديمة معروفة بقصة "أسد نيميا" الذي صارعه "هرقل" وقتله.

[61]- اسم جبل باليونان، معروف بأنه المكان الذي عاش فيه الوحش "جباليا" الذي صارعه "هرقل" وقتله.

كان يريد معرفة رأيه؟ حسنُ إذن، في مواجهة الغابة الضاجة والمضيئة تحت الأزرق المقدس، حرك الحمار رأسه من ناحيـــة إلى أخرى، بعناد، وصمت، كالعالم عندما يتأمل.

حينئذ، بحافره المقدس، حفر الساتوري الأرض، وكشر جبينه بعدم الرضاء، ودون أن ينتبه إلى أي شيء، صرخ، مشيراً إلـــى اورفيو أن يخرج من الغابة.

-لا...!

وصل الصدى إلى جبل الأولمب القريب، وتعداه إلى أبعد من ذلك، حيث كانت تلهو الآلهة، وانطلقت قهقهات متواصلة.

خرج اورفيو حزيناً من غابة الساتوري الأطرش، مستعداً لشنق نفسه على أول شجرة غار تقف في طريقه.

لكنه لم يشنق نفسه، بل تزوج من ايوريديس.